

الفصل الثاني:

المداخل النظرية لدراسة التفكك الأسري

تمهيد:

يحاول الباحثون في ميدان الأسرة مثلهم في ذلك مثل أغلب المنظرين في مختلف مجالات العلم تنظيم معارفهم المتراكمة في نسق من المفهومات والتعميمات والنظريات وقد شعر المتخصصون في الدراسات الأسرية بالحاجة إلى تنظيم مفاهيمهم وتطوير فروضهم وربط هذه الفروض بشكل له معنى وصولاً إلى تفسير التنظيم والسلوك الأسري وترجع أهمية النظريات عموماً إلى أنها تساعد الدارسين على اكتشاف النقاط الجوهرية التي يركزون عليها اهتمامهم.

1-أولاً: مدخل نظري: إن النظريات الأسرية الحالية ليست أحكاماً نهائية من حيث الصدق أو الخطأ ولكنها طرق للنظر إلى الظواهر المرتبطة بالأسرة والتفسير العقلاني لها وتعتبر المفهومات من الأدوات الرئيسية في كل نظرية وفي كل بحث سوسيولوجي، ولهذا يصبح مفهوم الأسرة "نسقا معنوياً" يرمز أو يشير إلى كلمة أو جملة تتيح فهم الظاهرة وملاحظتها بطريقة معينة والمفهومات فضلاً من ذلك أدوات عن طريقها تبرز المعاني المشتركة بين مستعملها وهي أفكار تستخدم في مجال الأسرة مثلاً الأسرة النواة، الوحدانية في الزواج، الأدوار، المعايير، القيم، والشرعية.....) سناء الخولى، 1996: (140-141).

ومن المعروف أن "القضايا" و "الفروض" و "النظريات" تنبثق من الأطر التصورية فالقضية هي عرض أو بيان لطبيعة ظاهرة ما وهي تتضمن بوجه عام العلاقة بين مفهومين أو أكثر ومثال ذلك القول بأن "صغر السن عند الزواج" مرتبط بارتفاع معدل الطلاق، يمكن أن يشكل قضية وإذا خضعت مثل هذه القضايا للاختبار التجريبي ينظر إليها على أنها فروض تقيم الصلة بين النظرية والبحث التجريبي هذا وتعنى القضية من جانب آخر انه إذا تغير متغير معين بطريقة منتظمة فإنه من المتوقع أن يحدث تغير مصاحب في الآخر فمثلاً إذا زاد التصنيع تناقصت روابط الأسرة الممتدة ومعنى ذلك أن كلا من التصنيع والأسرة هما بمثابة متغيرين مترابطين إذا زاد أحدهما نقص الآخر. أما النظرية: فهي مجموعة من القضايا المترابطة منطقياً ومنهجياً أي أن الربط بينهما هو السبيل إلى التوصل إلى النظرية والنظرية لا يمكن أن تستمد من الملاحظات والتعميمات ولكنها تستمد عن طريق الاستقراء الدقيق وهذا هو الذي يؤدي إلى القول بأن بناء النظرية هو إنجاز خلاق وبالتالي فليس من المستغرب أن قلة من العاملين في ميدان العلم تمكنوا من الوصول إلى نظرية وتعتبر النظرية صحيحة إذا خضعت للتحقيق ولم يظهر ما يكذبها أو يتناقض معها والنظريات عموماً مثل القضايا لا تقدم تفسيرات للأشياء الملاحظة فحسب ولكنها تصلح كذلك كمصدر هام لفروض جديدة (أحمد فائق، د.ت.: 175).

وإنه لا مناص من توضيح بعض الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع النظرية نظراً لتباين رؤيتها لطبيعة الواقع الاجتماعي ككل ما بين رؤية محافظة ترى الجانب الإيجابي المتوازن والمستقر دائماً من هذا الواقع ورؤية راديكالية ترى الجانب السلبي في الواقع وتسعى إلى محاولة تغييره وتجاوزه إلى حالة أكثر مثالية وأكثر تقدماً. (محمد

محروس الشناوي، 2000 : 29).

وسوف نعرض فيما يلي أهم النظريات المستخدمة في ميدان الدراسات الأسرية.

أولاً : النظرية البنائية الوظيفية

ثانياً : نظرية التفاعلية الرمزية

ثالثاً : نظرية الدور وصراع الأدوار الاجتماعية

رابعاً : نظرية الأزمة

خامساً : نظرية التدخل في الأزمة

ذلك مع العلم بأن هناك عدداً آخراً من النظريات التي يمكن أن تكون ملائمة في هذا السياق، مثل نظرية التعلق الوجداني، ونظرية الحاجات الشخصية في العلاقات الحميمة ونظرية الضغوط وغيرها، لكننا سنقتصر على عرض النظريات السابق ذكرها فقط، نظراً لأنها أكثر ارتباطاً بالعلاقات الثنائية بصفة عامة وبالعلاقات الزوجية بصفة خاصة، وانبتق عنها كثير من البحوث والدراسات العلمية.

2- ثانياً: النظرية البنائية الوظيفية :

تعتبر "النظرية البنائية الوظيفية" أحد الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع المعاصر وأكثر النظريات انتشاراً في دراسة الأسرة، ولعل ذلك يرجع لمرونتها وقابليتها لتغيير الكثير من الظواهر الاجتماعية، فعندما تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة تواجه متطلبات عديدة نظراً لتعدد الاهتمامات والموضوعات المتاحة داخل نطاق الأسرة مثل العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء وكذلك التأثيرات المنبعثة من الأنساق الأخرى في المجتمع الكبير كالتعليم والاقتصاد والسياسة والدين والمهن على الحياة الأسرية وتأثير هذه الحياة على تلك الأنساق وسوف نتعرض في السطور التالية لأهم القضايا النظرية الخاصة بدراسة الأسرة كنسق ديناميكي.

- الأسرة كنسق اجتماعي: إن دراسة الأسرة بمنظور الاتجاه البنائي الوظيفي تركز على كونها نسقا اجتماعية شأنها شأن الأنساق الاجتماعية الأخرى، فالأسرة نسق تؤدي أجزاءه وظائف أساسية من خلال عمليات تجرى بين مكوناته أو وحداته المختلفة من أجل تأكيد الكل وتشبيته، ومن ثم تصبح الأجزاء المكونة للنسق متساندة ومتكاملة. ويتشكل النسق الأسري من خلال عملية الزواج، التي بدورها تحدد شبكة العلاقات والأدوار. ويبدو بوضوح التساند البنائي بين مكونات النسق من خلال عمليات الإسهام الوظيفي والبدائل البنائية الوظيفية.

ويوضح راد كليف براون دينامية التكيف داخل النسق الاجتماعي، على أن هناك ميكانيزمات أساسية تعمل على أن يتواجد هذا الكل في وجود متكيف، بحيث يؤدي كل جزء من هذه الأجزاء وظيفته. وهذه الميكانيزمات يطرحها النسق تلقائياً، ليواجه بها أي قصور في الأداء الوظيفي، ومن ثم يصرف بها أو ينظم أية صراعات داخلية بين الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي.

وبذلك فإن عملية التكيف بين الأجزاء المكونة للنسق، تشكل الميكانيزم النسقي من أجل استمرار وجود البناء في حالة من الوحدة والاتساق. يجسد ذلك عملية الزواج، وأثرها في البناء الاجتماعي، فالزواج يمثل خلقاً لموقف جديد، مما يعطي إمكانية ظهور كثير من الصراعات على النسق أن يطرح ميكانيزمات لاستيعابها. فالزوجة تنتقل إلى أهل زوجها، وتصبح بذلك عضواً غريباً بينهم أو جزءاً داخل بناء علاقاتهم، وهذا الموقف يولد نوع من التوتر، يتجاوزه البناء بطرح ميكانيزمات تستوعبها، حيث أن النسق لديه القدرة التلقائية على طرح الميكانيزمات التي تنظم تفاعله (علي ليله، 1983 : 189).

وقد أكد راد كليف براون على دور العناصر الأساسية الكامنة في العلاقات الاجتماعية ودورها الرئيسي في توازن النسق الاجتماعي. أولها عنصر أساسي في العلاقة هو: العاطفة الشخصية، خاصة في العلاقة بين الأقارب إما عن طريق الدم أو المصاهرة. وثانيها عنصر المعاشرة، وهو الذي يشير إلى القواعد السائدة بالنسبة للسلوك الخارجي وتقوم هذه القواعد بتحديد أفعال رمزية معينة تعبر عن جانب هام في العلاقة بين شخصين.

أما العنصر الثالث في العلاقة فهو يعرف بالعنصر الشرعي أو المتعلق بالحقوق والالتزامات، ويقصد به تلك العلاقات التي تتحدد بالنظر إلى الحقوق والواجبات، فحيثما يكون هناك واجب، تكون هناك قاعدة توجب على الشخص أن يتصرف بطريقة معينة (علي ليله، 1983 : 206).

والأسرة كنسق اجتماعي تتعرض للعديد من التوترات والضغوط ومظاهر الصراع، قد يستوعبها النسق بطرح ميكانيزمات التوازن، وأحياناً يفشل النسق في تحقيق الاستقرار ويصاب بحالة من عدم التوازن تهدد الاستقرار الزواجي، وتصاب الأسرة بحالة من التفكك والاختلال، فتبدو بأشكال متعددة.

وقد اهتم عدد من الأنثروبولوجيين بدراسة الطلاق والمظاهر الأخرى للانحلال

الزواجي في المجتمعات البنائية منهم مالمينوسكي وبارنز ومايرفورتس وجودي. وقد استفاد (جودي 1972 : 14 - 55) من محاولة بارنز J.A.Barnes تقديم منهج لتقنين إحصاءات الطلاق في المجتمعات البسيطة، حيث نظر إلى الطلاق على أنه فترة انتقالية من زواج لآخر. وبناء على ذلك اهتم جودي بحصر كمي لمظاهر الانحلال الزواجي في مجتمع البحث،

مع بيان تكرار حدوثه خلال حياة المرأة دون التركيز بشكل خاص على الطلاق لصعوبة التفرقة بين الانفصال والطلاق في المجتمع، نظرا لأن كليهما يسمح بالزواج مرة أخرى.

ويعتبر وليام جود W.Good من السوسيولوجيين المحدثين الذين اهتموا بدراسة التفكك الأسري والطلاق، فقد حدد جود أنماطا متعددة للتفكك الأسري وهي:

- 1- الوحدة الأسرية غير المكتملة.
- 2- التفكك الأسري الناتج عن الانفصال الإرادي لأحد الزوجين.
- 3- الأسرة التي تشكل ما يطلق عليه البناء الفارغ.
- 4- الأزمات الأسرية الناجمة عن أحداث خارجية.
- 5- الكوارث الداخلية التي تؤدي إلى إخفاق غير متعمد في أداء الأدوار كما هو الحال بالنسبة للأمراض العقلية .

ويؤكد تصنيف وليام جود لأنماط التفكك الأسري، على أن الأسرة وحدة تتألف من أدوار تساهم بشكل فعال في استمرار واستقرار الزواج، كما أن بناء القرابة يمثل أهمية خاصة بالنسبة لأشكال معينة من التفكك الأسري، إذا ما قورنت بأشكال أخرى، أي أن المجتمع يحدد أنماطا اجتماعية معينة لبعض الناس بينما لا يحددها بالنسبة للبعض الآخر، وهنا تقابل بين الهجر الإداري و السجن والوفاة والطلاق. وبذلك فإن النسق القرابي له دور هام في تحديد أشكال معينة من التفكك الأسري دون غيرها. لذا تتباين المجتمعات فيما تعاني منه من صور التفكك الأسري (محمد الجوهرى، 1979 : 256-286).

ورغم ذلك يعد الطلاق من أكثر أنماط التفكك الأسري شهرة خاصة من جانب الباحثين المهتمين بدراسة الاستقرار الزواجي.

ثانيا: نوعية الزواج:

بدأ حديثا معالجة الاستقرار الزواجي تحت مفهوم نوعية الزواج، نظرا للحاجة

إلى دراسات كيفية وديموغرافية حول الاستقرار الزواجي ومظاهر الانحلال الزواجي، بسبب افتقار الاتجاه الكمي القدرة على معالجة الظاهرة ومكوناتها. على سبيل المثال تقتصر الإحصاءات على حصر الطلاق دون التعرض للمظاهر الأخرى لعدم الاستقرار الزواجي. ومن هنا انتشر استخدام مفهوم نوعية الزواج كإطار تصوري تحليلي، تكون من خلال تراكم العديد من الآراء و الاتجاهات للعلماء والباحثين، إلى جانب تعميمات من نتائج البحوث من التراث الخاص بالاستقرار الزواجي وتتكون نوعية الزواج من نسق من القضايا المترابطة توضح علاقات متبادلة تفسر وتتنبأ بالظاهرة (جون هبر، 1988: 429 : 432).

اعتبرها بعض الباحثين مثل روبرت لويس وجيرهام سبانيير نظرية لأنها أفضل طريقة للتنبؤ بالاستقرار الزواجي.

وتقدم نظرية الزواج نموذجاً أو نمطا تحليليا يصعب تحقيقه في الواقع، يفترض أن هناك زواجا يحقق درجة عالية من التوافق والرضا والسعادة بحيث يصبح الزواج نسقا وظيفيا متوائما. ومن خلال هذا النموذج المثالي يمكن تحليل ديناميات الاستقرار الزواجي والانفصال والطلاق.

وتزداد أهمية نوعية الزواج باعتبارها مفهوما يتسم بالطابع الشمولي، فهو يحوي في طياته مفاهيم الرضا والسعادة، توتر الدور، الصراع، الاتصال، التكامل والتوافق الزواجي، حيث يركز هذا المفهوم على إبراز كافة متغيرات تقييم العلاقة الزوجية، بحيث تشبه هذه العملية متصلا توضح درجات التفاعل الزواجي ونجاحه الوظيفي. ويقع على أقصى طرف المتصل نوعية الزواج المرتفعة، ترتبط بأحكام تشريعية جيدة واتصال ملائم ودرجة عالية من السعادة الزوجية والتكامل وبالتالي ارتفاع مستوى الرضا الناتج عن العلاقات المتبادلة، وعلى طرف المتصل الآخر نجد انخفاض نوعية الزواج مما يؤثر على عدم الاستقرار الزواجي، وحدوث الطلاق.

وبناء على ذلك تحددت جملة العوامل المؤثرة على الاستقرار الزواجي منها عوامل شخصية وأخرى عوامل اجتماعية.

ويرى بارسونز أن الاستقرار في بنية الأسرة هو المهمة الرئيسية للزوج الأب والزوجة الأم.

إن الاتجاه البنائي الوظيفي يعتبر أن الأسرة ظاهرة كونية سادت وتسود وستسود المجتمعات الإنسانية كافة، وينظر إلى الفرد لا من حيث كونه كائنا بشريا، بل من حيث

كونه مجموعة معايير وقيم تعلمها واكتسبها من أسرته عبر تنشئتها له، ولكي تبقى الأسرة نابضة بالحياة ودائمة الوجود عليها أن تكافح من أجل ذلك، وهذا لا يتحقق إلا بممارسة وظائفها البنائية المتمثلة في تنفيذ متطلبات مواقع وأدوار كل فرد، علماً بأن هذا الاتجاه يقر ويعترف بعدم تساوى وتكافؤ جميع وظائف الأسرة في محافظتها على البقاء داخل المجتمع وبنائه. وقد يحصل خلل وظيفي يهدد بناءها مثل عدم التزام أبنائها بتنشئتها أو أنها بالذات تقصر في واجبها أو تقوم به بأسلوب خاطئ أو سيئ فتحدث انحرافات وسلبيات سلوكية أو اجتماعية لا تخدم الأسرة أو المجتمع، بل تنمو في رحم المجتمع وتقوم بوظائف مستترة تظهر آثارها بعد ذلك لتقوض بعض أنساق البناء الاجتماعي أو تحلل قيم المجتمع فتظهر على شكل اعتلالات وظيفية داخل أنساق البناء الاجتماعي.

فأبرز الوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة وفقدتها في الوقت الراهن بسبب الثورة الصناعية والفرنسية والحرب الكونية الأولى والثانية والحروب الأهلية والثورات السياسية والتطورات التقنية والابتكارات والاختراعات الصناعية والتكنولوجية، جميع ذلك ساعد على ظهور جماعات وتنظيمات ومؤسسات نسقيه داخل الهيكل الاجتماعي أخذت من الأسرة العديد من الوظائف الجوهرية (إيان كريب، 1999 : 46).

فالوظيفة التربوية أخذتها المدرسة التي سحبت أبناء الأسرة لتعلمهم القراءة والكتابة والعلوم والثقافة والتخصص بمهن متخصصة لا تستطيع الأسرة القيام بها بعد التطورات التي أصابت الأسرة والمجتمع.

أما الوظيفة الاقتصادية، فقد أخذتها الشركات والمعامل والمصانع الخاصة بإنتاج كل ما يحتاجه جميع أفراد الأسرة من مأكلاً وملبس ومشرب بعدما كانت تنتجها الأسرة بنفسها،

فأصبح دخل الأسرة المحدود يصرف على المأكولات والملبوسات والمأوى أكثر من الأسر ذات الدخل العالي التي انصب مصروفها على الوسائل الترفيهية والاستهلاكية ذات الترف المظهري، في حين تحول مصروف الأسرة الريفية نحو شراء الأدوات والأثاث المنزلي أكثر من أي شيء آخر، هذا التمدن الاجتماعي يوضح حالة اشتغال الزوجة خارج الدار من أجل زيادة دخل أسرتها بحيث يكون قادراً على مواجهة متطلبات الأسرة المتزايدة، لأن وجود الزوجين خارج الدار للعمل يعني أن الأسرة باتت بأمس الحاجة إلى الأغذية الجاهزة والمعلبة والملابس الجاهزة أيضاً وإلى وسائل منزلية

لنتسهل مهامها داخل المنزل، فانتشرت المطاعم والمخابز والمقاصف والأطعمة المجمدة والمحفوظة.

هذه التطورات تبلورت من جراء عمل المرأة خارج البيت. فخرجت المرأة للعمل خارج الدار دفع بالزوجة إلى أن تقوم ببعض الأعمال التي كان الزوج يقوم بها وكانت تعد من مسؤولياته مثل التسوق اليومي، في الوقت ذاته دفعت (هذه الظروف) بعض الأزواج إلى أن يقوم بمهام وواجبات الزوجة مثل غسل الصحون وتنظيف البيت وطبخ بعض المأكولات، وإطعام الأطفال... الخ.

هذه الدلائل تشير إلى حدوث تغير نوعي في نظام تقسيم العمل داخل الأسرة الحضرية (وبالذات في الطبقة الوسطى). أي لم تبق مسؤوليات الزوج والزوجة وواجباتهما كما هي قبل التحضر بل حصل تعاون وتساند بينهما ولم تبق حدود دورهما ثابتة وجامدة.

أما الوظيفة الترويحية، فقد كانت النشاطات الترفيهية والترويحية تمارس داخل نطاق الأسرة بين أعضائها وأقاربها وتحت إشراف ورعاية الأبوين بشكل مباشر، لكن مع ظهور المؤسسات الهيكلية ذهبت معظم هذه النشاطات لهذه المؤسسات (باستثناء الترويح الإلكتروني في مشاهدة برامج التلفزيون والفيديو وسماع الأخبار)، فوضع البرامج الترفيهية والترويحية لأسر العمال والموظفين التي تمارس خارج نطاق الأسرة والمنزل وقيام شركات السفر والسياحة والطيران برحلات سياحية وترويحية... كل ذلك لم يبق للأسرة إلا الشيء البسيط مثل قراءة الجرائد والمجلات وسماع أو مشاهدة الأخبار اليومية وحياسة بعض الملابس البسيطة، فجردتها من تكوين خبرة ترويحية أو كيفية استغلال أوقات الفراغ بشكل جماعي أو مركزي ضمن نطاق الأسرة (معن خليل، 1994: 17-19).

أما الوظيفة الدينية: فقد كانت الأسرة تقوم بتوجيه وإرشاد أبنائها دينياً (بالتعاون مع دور العبادة) ولم تبقى للأسرة ادوار جوهرية في هذه الوظيفة.

وفي مجال الرعاية الصحية والاجتماعية، كانت الأسرة تقوم بالرعاية الصحية والاجتماعية للأطفال والأرامل والعجزة والمعوقين والمعمرين. لكن الآن ومع ظهور وكالات الضمان الصحي والاجتماعي ودور رعاية المسنين ومستشفيات خاصة بالعجزة والمعوقين فقد جردت الأسرة من المهمة الإنسانية التي لا تستطيع أية وكالة أو تنظيم تعويضها لأنها تعتمد أساساً على العناية الدافئة والرعاية العضوية-التفاني التي لا

يتقاضى العاملون فيها أجوراً مالية أو يعدها إحساناً أو شفقة بل بدافع من المحبة والمسؤولية الجماعية والواجب الأسري أو القرابي.

3- ثالثاً: النظرية التفاعلية الرمزية Interaction Symbolic theory

يعد أكثر الاتجاهات شيوعاً واستعمالاً في دراسات الأسرة هو اتجاه التفاعلية الرمزية التي تأثرت بأعمال علماء الاجتماع القدامى مثل جورج زمل، وليم جيمس وجارلس هرتن والتي ركزت على فهم وتفسير السلوك البشري الممارس من قبل الإنسان في محيطه الاجتماعي، وأن الإنسان ما هو إلا حصيلة التطور الذي أصاب المخلوقات البشرية التي مكنته من أنجاز قدرة إبداعية يبلور بواسطتها رموز وإشارات تساعد بدورها في منحها معان ومضامين لها نابعة من محيطها الثقافي لكي تسهل اشتراكه مع الآخرين بمعان واحدة. وعادة ما تكون هذه الرموز والمعاني المشتركة مكتسبة يتعلمها الإنسان بواسطة تفاعله مع الآخرين سواء كانوا في أسرته أو جماعته الصداقة أو الزمالة. لذلك استخدم الاتجاه التفاعلي الرمزي الاجتماعي لفهم السلوك النمط داخل الأسرة وما يؤثر فيها من مؤثرات يجعل منها خلية ديناميكية في حيويتها وتطورها.

فاتجاه التفاعل الرمزي له أهمية خاصة للذين يهتمون بفهم الضغوط والأزمات وإفساد النظام داخل حياة الأسرة ومع ذلك يعتبر الاتجاه التطوري Developmental ذو علاقة حميمة بعلم اجتماع الأسرة ودراسة المشاكل الخاصة بالأسرة كجماعة صغيرة كما يستعمل دائرة حياة الأسرة The Family life cycle كإطار مرجعي ديناميكي ويؤكد على حقيقة أن الأسرة والمجتمع ليسا في حالة استاتيكية. وعلى الأبوين أن يتكيفوا مع الحالات المستجدة لاكتساب دورهما كأبوين وإن فشل أحدهما في هذه المهمة الأسرية يؤدي إلى تصدع بنيان الأسرة. إن فشل ونجاح الزوجين في علاقتهما داخل الأسرة مرهون بدرجة إشباع كل منهما لمشاعر الآخر. فالزوج أو الزوجة الناجح والناجحة في حياته أو حياتها الزوجية هو أو هي الذي/التي تكيفت لدوره/لدورها في علاقتها/علاقته بأبنائهما وعلاقتها فيما بينهما وكيفية تكيفهما للمواقف والحالات المستجدة والتي يواجهونها(معن خليل، 1992: 38).

إن جانباً كبيراً من حياتنا المعاصرة ومشكلاتها، قد وضع موضع المناقشة على أساس فكرة الاغتراب، ونستطيع أن نضيف مصطلح "الاغتراب" إلى غيره من

المصطلحات الأساسية، التي نستعين بها في فهم روح العصر الحاضر (سامية الساعاتي، 2003: 19-20).

ولكن على الرغم من أن كلمة "الاغتراب" صارت شائعة ومألوفة لدى الكثيرين، فإن معناها لا يزال غير مفهوم لكل لسان يلوكها، أو كل قلم يجري بها، يسدل عليها ستاراً من الغموض، وكما قال "هيجل": "إن ما هو مألوف، أي ما هو معروف، بالاتصال المباشر أو الألفة والعادة، ليس بالضرورة مفهوماً، أي معروفاً معرفة واعية تتطوي على الفهم. فقد يكون القريب منا، واللصيق بنا، والذي يجري دائماً على لساننا، بعيداً عن الفهم والإدراك العقلي الواضح" وهنا تجيء مهمة العلم في التوضيح والتحليل.

والاغتراب بوجه عام، هو البعد عن الأهل والوطن. وقد استعمل حديثاً في العلوم الاجتماعية، واستخدم "هيجل" الاغتراب أول مرة 1807 بمعنى تاريخي، فرأى أن اغتراب الإنسان اغتراباً تاريخياً، معناه أنه اغتراب ينشأ نتيجة ظروف تاريخية، إذا قضى على الاغتراب. أما عند "ماركس" الذي استخدم في كتاباته مفهوم الاغتراب لأول مرة 1883، فالاغتراب له دلالة خاصة تتلخص في أن المرء يمر أحياناً بأوضاع يفقد فيها نفسه، ويصبح غريباً أمام نشاطه وأعماله ويكاد يفقد إنسانيته كلها. فليس الأمر مجرد خطأ أو نسيان، بل هو فقدان للذات، وذلك حين يتعرض الإنسان لقوى معادية ربما كانت من صنعه، ولكنها تنقلب عليه كالأزمات والحروب. ففي حال الاغتراب يستنكر أعماله، ويفقد شخصيته. وفي ذلك ما قد يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه. فالاغتراب عند "ماركس" دافع من دوافع الثورات (محمود رجب، 20).

ويمكن أن يقع كل فرد من أفراد الأسرة فريسة للاغتراب نظراً للتغيرات السريعة والمتلاحقة في المجتمع العصري الحديث.

وكما هو معروف فإن الموضوعات الأساسية في علم الاجتماع الأسري يمكن حصرها في السعادة الزوجية، وتقسيم العمل بين الزوج والزوجة ودور الزوجين في الأسرة وجمع المرأة بين العمل والزواج. وانعكاسات ذلك على علاقات الزوج-الزوجة، الأم-الطفل. كما تتناول تلك الموضوعات العلاقات الداخلية بين الأسرة النووية، وبين النسق القرابي الأكثر اتساعاً.

كما نرى أن هناك ارتباطاً مباشراً بين وصول أحد طرفي العلاقة الزوجية (الزوج أو الزوجة) لحالة الاغتراب داخل الأسرة النووية وبين حدوث الطلاق الوجداني أو الطلاق النفسي أو الاغتراب الزواجي.

وعلى الرغم من أن النظرية التفاعلية الرمزية ترتبط بالنظرية البنائية الوظيفية وتستخدم بعض مفاهيمها مثل الدور، وفي الوقت الذي سعى فيه الوظيفيون إلى البحث عن تفسيرات بالمعنى العلمي وقاموا بدراسة أجزاء البناء الاجتماعي مستخدمين إجراءات إحصائية معقدة بحثاً عن سلسلة من السبب والآخر تناسب وظائف النظام الاجتماعي الأكبر، نجد مؤيدي نظرية التفاعل الرمزي يسعون إلى الفهم ويركزون على التفاعل في قطاعات محدودة من البناء الاجتماعي، آخذين في الاعتبار التفاعلات الشخصية، وكذلك تفاعل الأفراد في المواقف، ويرون أن التصميم البنائي الوظيفي صارم لا يسمح بدخول الأنواع المختلفة من السلوك الاجتماعي بدون تشويه.

وينطلق الاتجاه التفاعلي الرمزي من كون الإنسان الوليد شيئاً اجتماعياً وليس اجتماعياً بالكامل، ومن ثم يتحول إلى كائن اجتماعي بعد أن يخضع لمؤثرات عملية التفاعل الاجتماعي التي تحدث بينه وبين أسرته عبر التنشئة الأسرية والاجتماعية (خارج الأسرة) التي يتعلم بها ويكتسب دوره وأدوار الآخرين وتصوراتهم نحوه وعند ذلك يتولد عنده الشعور بذاته وما ينعكس عنها عند الآخرين المحيطين به. وأيضاً فإن هذا الاتجاه التفاعلي الرمزي يأخذ بعين الاعتبار تأثير الوليد على الوالدين، إذ إنه يوضح لهما درجة نجاحهما أو فشلهما في ممارسة دورهما كوالدين وهذا يعني أن الأسرة لا تعلم أبناءها أدوارهم بل أدوار الأبوين أيضاً. أي أن التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة لا يأخذ جانباً واحداً بل جانبيين: تأثيراً وتأثراً، أخذاً وعطاءً.

4- رابعا: نظرية الدور وصراع الأدوار :

الدور هو السلوك المتوقع من شخص يحتل موضعا معينا في الجماعة، وفضل تعريف للدور يمكن انتقاؤه من بين تعريفات كثيرة، فتعرفه (سامية الساعاتي 2003: 109) هو أنه مجموعة الموصفات التي تحدد ما ينبغي أن يكون عليه سلوك شخص يحتل مركزا معينا. وأداء الدور الزوجي هو قيام كل من الزوجين بمسؤوليات الدور الذي يخصه، فالرجل يقوم بمسؤوليات الزوج، والمرأة تقوم بمسؤوليات الزوجة في جماعة الأسرة.

إن تحليل مفهوم الدور يحتوي على ثلاثة مصطلحات أساسية هي:

- 1- الدور المعياري: وهو الموصفات النابعة من المجتمع أو من الثقافة.
- 2- الدور المتوقع: وهو عبارة عن الموصفات التي يتطلبها كل من الآخر في موقف التفاعل.
- 3- الدور الوظيفي: وهو الدور الفعلي المؤدى بالفعل.

وقدم كوتريل Cottrell نظرية الدور والتي تقوم على افتراض مؤداه أن الأفراد يقومون بأداء أدوار اجتماعية متنوعة في حياتهم، مثل دور الطالب والأب والزوج والعامل والجد....إلى آخره. وأن هذه الأدوار تقوم بتحديد ووصف الشخص ككائن اجتماعي وتمثل الأساس لمفهوم الذات لديه (عزة أحمد ، 1994: 50).

ويتأثر سلوك الشخص بالدور المتوقع منه وبالمكانة التي يشغلها في علاقته بالآخرين. ويرى بأن معظم حالات الاختلالات الزوجية التي تأتي إلى مراكز العلاج يكون سببها عدم المعرفة بالدور المتوقع (زوجة-أم-زوج-أب)، ويختلف الأزواج في معتقداتهم حول أمور عديدة مثل مصادر اكتساب الدخل ومصادر إنفاقه، ومعتقداتهم حول الوالدين، والنشاطات الاجتماعية، وتقسيم أعمال المنزل، فالأزواج والزوجات يأتون إلى الزواج محملين بمفاهيم مسبقة عديدة وتوقعات غالبا ما تكون قد تشكلت في فترة مبكرة من حياتهم (Beck 1989: 123)، وتعتبر الأدوار الاجتماعية مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي، فالدور لا يكتسب معناه إلا في ضوء العلاقات بين الأشخاص، بمعنى كيف يسلك الفرد نحو الآخرين في موقف محدد، وهذه الجماعة التي يمارس فيها الشخص أدواره الاجتماعية تعتبر جزءا مهما للغاية في عملية التفاعل الاجتماعي بين أعضائها (Morey & Luthans، 1991: 597).

ولكل دور مهام ومتطلبات خاصة به، فقد حدد "هول" مفهومه للدور على انه عملية

لها ثلاثة مكونات هي:

1- البنية الخارجية التي تمثل توقعات الشريك في الدور، وهي توقعات تحكمها مجموعة معايير اجتماعية.

2- اتجاهات شاغل الدور نفسه وتصوره لتوقعات الآخرين وتوقعه لنفسه.

3- أداء الدور في شكل تصرفات معينة (صفاء إسماعيل، 1999 : 8).

الأدوار الزوجية ودور كل من الزوج والزوجة:

لا يوجد دور للزوج في أي مجتمع إلا بوجود دور للزوجة، لان حقوق الزوج واجبات على الزوجة، وحقوق الزوجة واجبات على الزوج، ولا يحصل اي منهما على حقوقه إلا إذا قام الزوج الآخر بواجباته، وهذا ما يجعل المفاضلة بين الدورين مستحيلة فهما وجهان لعملة واحدة.

ويتأثر أداء دور الزوج أو الزوجة بشخصية كل منهما ومفهومه عن نفسه وتصوره لدوره وفهمه لما هو متوقع منه وما هو متوقع من الزوج الآخر، من خلال ما اكتسبه في عملية التنشئة في البيت والمدرسة والمجتمع وما تعرض له من خبرات ونماذج، وما حصله من معلومات عن الواجبات والحقوق في الدورين.

ويتأثر التفاعل الزواجي بتصوير كل من الزوجين للدور المتوقع منه، والدور المتوقع من الطرف الآخر، وهو تصور نسبي يختلف من زوج الى آخر بحسب دوافعه وميوله واتجاهاته، فإذا اتفق كل من الزوجين وقام بواجباته نحو الطرف الآخر فإنهما يتفاعلان تفاعلاً إيجابياً، ويتعاون كل منهما مع الآخر، ام عندما تتباين أدوراهما فإنهما يختلفان ويظهر الشقاق والصراع بينهما، (كمال إبراهيم مرسى، 1991: 139).

وترتبط الأدوار بمراحل الحياة المختلفة للإنسان فيرتبط كل دور اجتماعي بعمر معين أو مرحلة عمرية معينة على الرغم من وجود استمرارية لبعض الأدوار مثل دور الأب ودور الصديق ودور الجد، فهذه الأدوار تتسم بالاستمرارية والثبات عبر مراحل الحياة (عزة أحمد ، 1994 : 50).

ويشغل الفرد أدواراً متعددة بالنسبة للتنظيمات الاجتماعية التي يمثلها أو التي ينتمي إليها بحكم الوظائف التي يشغلها، وتحدد قدرة الفرد على النهوض بهذه الأدوار من خلال تفاعلاته مع الأشخاص الآخرين.

ويمكننا النظر للأدوار الاجتماعية من عدة زوايا كالتالي:

1- الدور من وجهة النظر الثقافية: وينظر إلى الدور هنا على انه الأنماط

المعيارية للثقافة.

- 2- الدور من وجهة النظر الاجتماعية: وهو مفهوم الفرد لموقفه في ضوء مركزه الاجتماعى بالإضافة إلى مراكز الآخرين الاجتماعية.
- 3- الدور من وجهة النظر النفسية: والدور هنا هو سلوك الأشخاص الذين يحتلون مركز اجتماعية، فهو يتكون من اتجاهات وقيم (سامية الساعاتي، 2003: 4).

4-1 صراع الأدوار:

يتضمن هذا النموذج نوعاً من الصراع داخل الدور والذي يوصف على انه امتداد لضغوط الخبرات الشخصية داخل احد الأدوار والتي تتعارض مع الضغوط الناتجة من الدور الآخر أو عندما يعجز الفرد عن الوفاء بالتزاماته أو عندما تغطي مسؤوليات دور معين على مسؤوليات دور آخر ينشأ صراع الأدوار (محمود عبد الرحيم، 2002: 257).

4-2 صراع الأدوار والمشاكل الأسرية:

قد يشعر أحد الزوجين أو كلاهما بضغوط نفسية وتوترات بسبب غموض الدور المطلوب منه وعدم تيقنه مما هو متوقع منه، أو بسبب كثرة مطالب الدور وعدم قدرته على تحديد الأهم فالمهم، فيقع عندئذ في صراع الدور الذي يعوقه عن القيام بهذا الدور وغيره من الأدوار المطلوبة منه، وينشأ غموض توقعات الدور المطلوب من الزوج أو الزوجة من عدم فهمه واجباته وحقوقه أو حصوله على معلومات مشوشة عن هذه الواجبات أو عدم كفاءته في القيام بها مما يجعله متردداً وغير واثق مما يقوم به هو المتوقع منه أم لا، أو عندما تتعارض توقعات الدور عنده، ويقع فيما يسميه جروس الصراع داخل الدور (كمال إبراهيم مرسى، 1991: 143).

أما عندما تكثر التوقعات من أحد الزوجين أو من كليهما بسبب تعدد الأدوار التي يقوم بها وكثرة الواجبات المطلوبة منه وتعارضها فيحدث الصراع بين الأدوار حيث يشعر الزوج أو الزوجة بالعجز عن التنسيق بين هذه الأدوار ولا يقدر على تحقيق المتوقع منه في كل منهما، فيتوتر ويقلق، وقد يعاني الاضطراب الاجتماعى والنفسى.

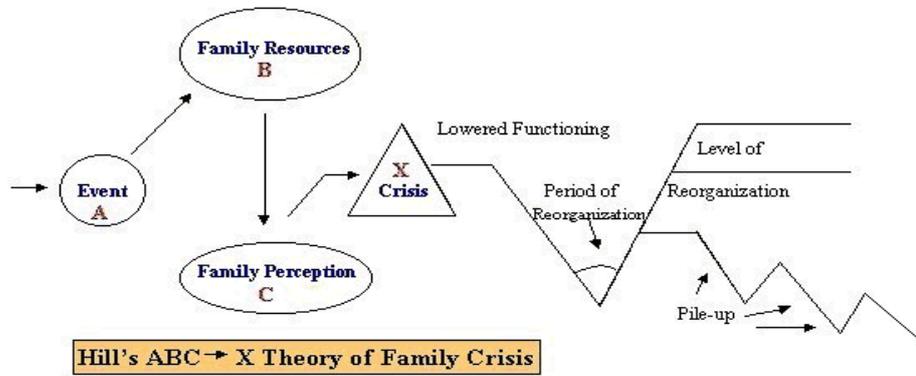
ويقع كثير من المتزوجين في كلا من الصراع (الصراع داخل الدور— و بين الأدوار)، بسبب عدم كفاءة كل من الزوجين أو أحدهما في القيام بواجبات دوره وتوقعاته الخاطئة من الزوج الآخر، وعدم فهمه لواجباته وحقوقه، فيختل تفاعله مع

الزوج الآخر ويكثر الصراع بينهما.

5- خامساً: نظرية الأزمة :

وضع (هيل 1949) نظرية الأزمة (Crisis theory) لكي يفسر كيف تتعامل الأسرة مع الأحداث الشاقة أو الضاغطة، ولماذا تستطيع بعض الأسر مواجهة التحديات في حين ييأس الآخرون وتتدهور علاقاتهم.

وطبقاً لنموذج هيل المسمى ABCX (Crisis, Behavior, Adaptation) فإن الأحداث الشاقة في الأسرة تنسم بما يلي :



A - تتطلب قدراً من التكيف

B - وقد توضع لها تفسيرات سلوكية مختلفة.

C - وتضع متطلبات لطبيعة الأزمة ومصدرها.

X - ما إذا كانت الأسرة ستتعج وتعتبر الأزمة بنجاح، علماً بأن هذا النجاح يتضمن تكيفاً يأخذ في اعتباره نظام الأسرة وارتقاءها (Bradbury, Karney, 1995:7).

وقد قام هيل بتصنيف الأزمات الأسرية إلى ثلاث فئات هي :

1. التمزق أو فقدان بعض الأعضاء

2. التكاثر أو الإضافة

3. الانهيار الخلقى.

ويحتاج كل من هذه الفئات إلى تفسير. و من أجل تقريب الصورة نضع الجدول رقم 01 التالي:

الأزمة	تفسيرها	نتائجها
التمزق أو فقدان الأعضاء	فقد احد أعضاء الأسرة نتيجة ذهابه إلى الحرب أو دخول أحد الزوجين المستشفى أو موت أحد الوالدين.	يمكن أن تؤدي هذه الأحداث المسببة للازمة إلى نتائج عديدة مثل: 1/الانتحار. 2/الطلاق أو الهجر والهروب.
التكاثر أو الإضافة	ضم عضو جديد للأسرة دون استعداد مسبق كأن يكون حمل غير مرغوب أو زوج أم أو تبني طفل أو قرار الجد أو الجدة العيش مع الأسرة.	3/ الإصابة بأمراض عقلية ، أمراض نفسية و غيرها .. الخ
الانهيار الخلقي	فقدان الوحدة الأسرية أو الأخلاقية فقد العائل، الخيانة الزوجية، إيمان الخمر أو المخدرات أو الانحراف إلى حدث يجلب للأسرة الخزي والعار.	

ولكن بالعودة إلى النقاط السابقة التي أوضحناها وهي ارتباط الحادث (أ) وما هي العوامل الأخرى التي تمكن الأسرة من التغلب على الأزمة ، وإلى أي مدى يمكن الأسرة تعريف الحدث كأزمة (العامل ج) ويمكن أن يدخل ضمن إمكانات مقابلة الأزمة (للعامل ب) على عوامل عديدة منها تماسك الأسرة، والتأمين والأصدقاء والعقائد الدينية ودرجة التعليم والصحة وغيرها .. علما أن الأزمات عادة ما تصيب الأسر التي لا يوجد لديها إمكانات ملائمة لمواجهة الأزمات.

وهناك عدد من المصادر المتاحة للأسرة للتعامل مع الأزمة، وهذه المصادر يمكن تناولها على النحو التالي :

5-1: التوافق مع الأزمة: إن التوافق مع الأزمة يعتمد أساسا إلى أداء أعضاء

الأسرة لأدوارهم، وكذلك يعتمد على استجابة المجتمع المحيط .. الأمر الصحيح كما يقول هيل إن هناك عدة عوامل مؤدية إلى التوافق مع الأزمة منها : مدى العلاقات العاطفية بين أعضاء الأسرة ، التوافق الزوجي، علاقات الصداقة بين الآباء و الأبناء، مشاركة الأسرة في اتخاذ القرارات ، والمشاركة الاجتماعية للزوجة إضافة إلى التجارب السابقة الناجحة مع الأزمات من قبل الأسرة.

ولتوضيح ذلك يمكن وضع الجدول رقم 2 التالي:

العامل	تفصيله
العامل (أ) الحادث الذي يصيب أي أسرة	ويمكن حصره حسب تصنيفات هيل (فقدان العائل - الانهيار العقلي - شرب الخمر - قدوم طفل
العامل (ب) (ويعني وسائل مواجهة الأسرة للأزمة .	تماسك الأسرة - الدخل المالي - التأمين - الأصدقاء - العقائد الدينية- درجة التعليم - الصحة السليمة
العامل (ج) (ويعني العنوان الذي تضعه الأسرة للحادث.	هنا هل تعتبر الأسرة أن ماجرى حادث أو عرض ، هل تعتبر الأسرة أن ما جرى لها أزمة أو كارثة أو جريمة .
العامل (د) ويعني ما هي الحلول التي ستتجه لها الأسرة.	1. إذا كانت الأسرة سلبية فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية مثل (الانتحار - الطلاق - الانهيار - الخلل العقلي) 2. أما إذا كانت الأسرة ايجابية واختارت التوافق مع الأزمة والعمل لحلها فإنها لا بد أن تعيد النظر في قواها الداخلية أولاً مثل (مدى استعداد الأسرة لمواجهة الأزمة - تكامل الأسرة - مدى العلاقات العاطفية - التوافق الزوجي - علاقات الصداقة بين الآباء والأبناء - مشاركة الأسرة في اتخاذ القرارات، إضافة إلى التجارب السابقة الناجحة مع الأزمات)

1- السمات الشخصية لجميع أفراد الأسرة، وبصفة خاصة للزوجين.

2- كفاءة وفعالية الطرق التي يستخدمها الزوجان في حل مشكلاتهما الزوجية.

3- نظام الدعم الذي يستخدمناه (Corsini، 8، 1994).

كما إن طريقة إدراك الزوجين للأحداث التي تمر بهما على انه طبيعي، في حين تدركه الزوجة على انه حدث يمثل أزمة بالنسبة لها أو للأسرة ككل.

ويرى (عبد العزيز الغريب 1998-64) أن نظرية الأزمة تركز على قيم أساسية هي

:

1- أن الأشخاص الذين يكونون في مواقف الأزمات أشخاص طبيعيين أساسا حتى ولو كانوا على درجة عالية من التوتر والقلق فعلي الرغم من أن الأشخاص الذين يعانون من الضيق أو الاضطراب الحاد أو يمرون بأزمة، قد يكون لديهم اضطراب عاطفي أو عقلي قبل حدوث الأزمة أو ترتب على حل الأزمة نتائج سلبية تؤدي لمثل هذه الاضطرابات، فان ذلك لا يعني أن الشخص الذي في موقف الأزمة مصاب بالضرورة باضطراب عاطفي لذلك فان من المهم أن نميز بين الأزمة وبين الأشكال المختلفة من الأمراض العاطفية والعقلية حتى لا توهي الإشارة "بعلاج" الأزمة بأن الأشخاص الذين في مواقف الأزمات يدخلون في عداد "المرضي".

2- أن الأشخاص الذين يكونون في مواقف الأزمات لديهم القدرة والرغبة في مساعدة أنفسهم، وأن هذه القدرة والرغبة قد ينتابها قدر متفاوت من الضعف، وأن قدرتهم على تحقيق النمو من خلال هذه الأزمة يمكن أن تدعم عن طريق الحصول على مساعدة مؤقتة من جانب الأسرة والأصدقاء والجيران وأحيانا من جانب بعض الأخصائيين المؤهلين للتدخل في مواقف الأزمات. كما أن الفشل في الحصول على هذه المساعدة قد يعوق النمو ويؤدي إلى نتائج سلبية للأزمة تأخذ أشكالا مختلفة مثل إيذاء النفس أو الاعتداء على الآخرين وغيرها من أنواع السلوك السلبي الضار. ويعتمد تطبيق النظرية على نوع الأزمة وقد أورد "كوتون" ثلاثة أنواع من الأزمات:

أ- الأزمة الحادة حيث تتعطل أدوات التوازن الجسدي عند الفرد وتتوقف عن العمل إلى حد يعجز معه الفرد عن التكيف مع هذه الحالة أو التغلب عليها.

ب- الأزمة العادية وهي جزء من عملية النمو.

ج- الأزمة الوضعية وهي رد فعل إزاء وضع معين كالمرض أو الكارثة.

ويمكن اعتبار الأزمة كنوع من التهديد أو الخسارة أو التحدي، فالفرد يواجه

تهديد سلامته ومتطلباته الذاتية بالقلق، كما يواجه الخسارة أو الحرمان بالحنن والاكنتاب في حين انه يواجه التحدي بالنشاط الهادف إلى حل المشكلة وبالحيوية والتحرك.

وخلصه هذه النظرية : أنها تقدم عدة إسهامات لفهم العلاقة الزوجية بطريقة مباشرة أكثر مما فعلت النظريات الأخرى، فهي تولى عناية خاصة بالأحداث الخارجية التي تؤدي إلى تغيرات في الزواج، كما تقدم تنبؤات من خلال مقدار رضا كل من الزوجين عن علاقتهما (كيرنى، 1995 : 7).

ويمكننا في ضوء نظرية الأزمة أن نتبين أن الخلافات الزوجية سواء أكان مصدرها أسباب خارجية (أي أزمات كأن تكون ديون على الزوجين أو علاقتهما المضطربة بالأهل أو بالجيران أو مشكلات في العمل أو غياب الزوجة فتره طويلة خارج المنزل وغيرها.....) أم أسباب داخلية (نابعة من العلاقة الزوجية نفسها مثل السمات الشخصية لأي من الزوجين أو عقم احد الزوجين أو المرض أو غيرها..)، فهي في كل الأحوال أزمات يعانى منها الزوجان وتتطلب منهما- وفقا لهذه النظرية- قدرا من التكيف.

6- سادسا: نظرية التدخل في الأزمة:

6-1: مدخل إلى النظرية :

تعد الأزمة والتدخل في الأزمات قديمتين قدم الإنسان على الأرض، فمساعدة الآخرين في أوقات الأزمات من الخصائص الأساسية للإنسان، ذلك أن التدخل في مواقف الأزمات فعل إنساني يوجد في الثقافة الإنسانية على مر العصور، ومن أهم الأسس العلمية التي تستند إليها نظرية الأزمة نظرية التحليل النفسي ونظرية سيكولوجية الأنا والطب النفسي العسكري، والطب العسكري والوقائي ومدخل الصحة العامة، وترجع الأصول الأولى لهذه النظرية إلى بعض رواد علم النفس منهم هانر هارتمان وابراهيم ماسلو وأريك أريكسون وجين بياجيت في بداية هذا القرن، وقد تعاملت خدمة الفرد مع الأزمات عام 1918م علي يد بيرنا رينولز. ويعد "أيركسون" وهو عالم أنثروبولوجي ومحلل نفسي من أهم العلماء الذين اثروا كثيرا في هذه النظرية حيث يشير إلى - أن الفرد يمر بسلسلة من الأزمات أطلق عليها "أيركسون" اسم أزمات الحياة أو أزمات الهوية ووصف ثماني مراحل يمر بها الفرد خلال دورة حياته، وبين

أنه في كل مرحلة تسيطر عناصر معينة من الهوية تضع الفرد في نوع من التحدي للتوفيق بين قطبين متعارضين، وأن حاجات كل مرحلة تبقى ساكنة ولكنها تميل إلى السيطرة في أوقات الانشغال القوية وفي كل مرحلة تتطور أزمة حتى يصل الفرد إلى حل في النهاية، وعندما يتم التوصل إلى هذا الحل الذي يحقق التوازن الدينامي بين القطبين المتعارضين، فإن الفرد - في هذه الحالة فقط - يكون قادراً على التحرك بحرية نحو المرحلة التالية كذلك بين "أيركسون" أن كل أزمة من أزمات الحياة توفر فرصاً جديدة لإعادة النظر في الحلول القديمة السابقة، لذلك فإن الأزمة التي لم تحل حلاً مناسباً في مراحل سابقة من النمو قد يعاد حلها بشكل جديد خلال أزمات الهوية التالية، وينظر "أيركسون" إلى أزمات الحياة بأنها تمثل فترات من الأمل والتحدى إلى جانب كونها فترات من الاضطراب والقلق ففي كل مرحلة هناك مشاكل يجب مواجهتها، ومهام يجب تنفيذها، كما يتم اكتشاف احتمالات وإمكانيات جديدة، وكل من هذه الجوانب يمكنها أن تضيف ثراءً وتطويراً للهوية. كما تأثرت الأعمال النظرية الأولى المتعلقة بالأزمات بدراسة ليندمان 1944 حول حالات الاكتئاب الحاد التي نتجت عن حريق نادي (كوكونات غروف) في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1943، كما تأثرت أيضاً بدراسات "تايهورست" عام 1957 حول المراحل الانتقالية فقد تناولت هذه الدراسات الآثار الناتجة عن موت أو فقدان أحد أفراد الأسرة.

ونظرية التدخل في الأزمة هي : مجموعة المفاهيم المتعلقة بردود أفعال الأشخاص عندما يواجهون بتجارب غير مألوفة "، قد تكون هذه التجارب علي هيئة كوارث طبيعية أو فقدان معني ما أو تغييرات في البناء الاجتماعي أو تغييرات في دورة الحياة ونظراً لأن مفاهيم نظرية الأزمة قابلة للتطبيق على الفرد وعلى الأسرة أيضاً، وربما - مع بعض التعديل - على الأنساق الاجتماعية الأكبر كذلك، فقد قامت العديد من البحوث بدراسة تغير حياة الأسرة تحت تأثير الأزمة، ونظراً لأن المفاهيم الخاصة بالبناء الأسري وتفاعله وأدائه الوظيفي، لها صلة وثيقة مباشرة بالتعامل مع وحدة الأسرة التي في موقف الأزمة، فإن نظرية الدور لها مكان مهم في نظرية الأزمة فيما يتعلق بتحليل أدوار الأسرة، وطالما أن العجز في الأداء الوظيفي للدور الاجتماعي يكون عادة نتيجة من نتائج الأزمة كما أن مفهوم انتقال الدور وتعاقب تغير الأدوار طوال دورة حياة الفرد يعتبر أحد أبعاد الضغوط التي تعجل بحدوث الأزمة عند الفرد أو الأسرة، وقد استفادت نظرية الأزمة من نظرية الدور في هذه المفاهيم واستخدامها،

وقد جاء مفهوم التدخل في الأزمات استجابة لحاجة الجماعات للمساعدات خلال فترات التغيير المفاجئ والعنيف من وضع حياتي إلى وضع حياتي آخر، ومن بين هذه الأوضاع الحياتية كالكوارث الاجتماعية والهجرة والتقاعد، والأزمات الناشئة عن التطور، كذلك التي تنشأ عن مراحل تطور معينة (منيف البدراني، 2004: 134).

6-2: الملامح الأساسية لنظرية التدخل في الأزمة:

لقد قامت نومي جولان (1987) بتقديم تصورا لنظرية التدخل في الأزمة والذي حددت فيه أهم فروض النظرية على النحو التالي:

- 1- أن أي شخص أو جماعة أو منظمة يتعرضون لأزمات خلال حياتهم
- 2- أن الأحداث الخطرة التي يمر بها الإنسان تمثل المشكلات الأساسية التي تمهد لحدوث الأزمة.
- 3- أن الأحداث الخطرة يمكن التنبؤ بها أو توقعها (كمرحلة المراهقة والزواج والانتقال للتقاعد) كما أن هناك أحداثا غير متوقعة (كالموت والطلاق والكوارث البيئية والمرض).
- 4- أن حالة المعاناة من هذه الأحداث تتضح عندما يفقد ضحاياها، أشياء معينة منها:-

- أ- فقدان التوازن في قدرتهم على معالجة الأزمات التي تصيبهم
- ب- تبذل الجهود لإعادة التوازن ولكن الفشل فيها قد يترتب عليه توترات وضغوط نفسية مع كل حالة فشل.

- 5- أن تراكم حالات الفشل قد يضاعف من حالات التوتر مما قد يساعد في زيادة اشتعال الأزمة.

- 6- مظاهر الأزمة أو أعراضها، قد توحى إلى الباحث الاجتماعي بأنها الأزمة الحقيقية، بينما هي أعراض لأزمة أخرى أساسية، وبالتالي يجب البحث عن الأزمة الحقيقية وليس عن أعراضها.

- 7- قد ينظر إلى الأحداث الضاغطة بأحد الطرق الثلاثة التالية وكل له استجابة خاصة في التدخل في الأزمات.

جدول رقم 3 يوضح كيفية الاستجابة الى الاحداث الضاغطة

الأحداث الضاغطة	الاستجابة
--------------------	-----------

التهديدات	القلق
الفقدان	الاكتئاب
التحديات	القلق الخفيف، الأمل، التوقع، ومحاولات
	أكثر لحل المشكلات

- 8- أن النجاح في التغلب على الأزمة في الماضي يساعد على التغلب عليها في المستقبل بينما عدم النجاح في حل الأزمات في الماضي يؤدي إلى المزيد من الوقوع في الأزمات مستقبلاً
- 9- الأشخاص الذين يواجهون أزمات هم أكثر انفتاحاً لتقبل المساعدة من الذين لا يواجهون مثل هذه الأزمات.
- 10- أن الوقوع في الأزمات والتغلب عليها، يتعلم منها الناس طرقاً جديدة لحل المشكلات بصورة أكثر فعالية، كما يحسن من مقدراتهم على التوافق مع الأزمات المستقبلية.
- 3-6 : أسس خدمة التدخل الحديث في الأزمات: أن أسس خدمة التدخل الحديث في الأزمات والكوارث في الخدمة الاجتماعية كما عرضها "أوهاجاون" 1994 تتكون من أربع مكونات رئيسية هي:
- 1- الأساس الأخلاقي الصحيح :
- تقتصر الاعتبارات الأخلاقية في العمل الاجتماعي على تنوير الأخصائيين الاجتماعيين بخصوص طبيعة المشكلات التي يواجهونها ويتطلب الأساس الأخلاقي للتدخل في الأزمة الآتي :
- أ- نظام من القيم يقاوم كل أشكال التفرقة العرقية والدينية والنوعية (ذكر/أنثى) وحالات العجز.
- ب- المعرفة والخبرة : يوجد التزام أخلاقي أساسي للأخصائيين الاجتماعيين عند التدخل في الأزمة وهي المعرفة والخبرة عند مواجهة الأزمات.
- ج- استخدام القوة والسيطرة المناسبة من أجل إثبات الحقائق.
- 2- الأطر النظرية والتصورية الملائمة :
- انه من المهم أن يكون لدى المهنيين المسؤولين عن التدخل في الأزمة إطار نظري سليم كما ينبغي أن تكون إطارات العمل التصورية والنظرية التي يتبناها الأخصائيون الاجتماعيون مرنة وتيسر فهم عوامل ومسببات حدوث الأزمات.

3- اكتشاف الذات :

من المهم للأخصائيين الاجتماعيين أن يكونوا على دراية بالمصادر الرئيسية التي تتحداهم شخصيا في موقف الأزمة كالخوف من موقع الكارثة والبحث عن طبيعة هذه المخاوف والصراعات وكيف تجنبها.

4- المهارات والأساليب:

تشتمل كل مراحل التدخل في الأزمة على صعوبات وتحديات ويتطلب هذا مستودعا من المهارات والأساليب مثل أدوات مقننة للقياس والتقييم وعلاج الأسرة ومعرفة المهارات والأساليب لا تكفي في حد ذاتها بل يجب أن يكون هناك تدريب كبير وممارسة وإشراف في التطبيق وبخاصة في مواقف خدمة التدخل في الأزمات.

6-4: مراحل العمل مع الأزمات : يصف روبرتس (Roberts) (1991) سبع مراحل للعمل خلال الأزمات هي:

- 1- تقدير الخطر والأمن.
- 2- عمل اتصال مناسب مع الأفراد.
- 3- تحديد المشكلات الأساسية.
- 4- التعامل مع المشاعر وتقديم المساندة.
- 5- فحص البدائل الممكنة.
- 6- تشكيل خطة عمل.
- 7- تقديم مساندة متابعة.

6-5: خطوات التدخل في الأزمات :توجد أربع خطوات مطلوبة عندما يقوم الأخصائي الاجتماعي بدور رسمي ومسؤول للتدخل في الأزمة هي :

- 1- يقيم الأخصائي الاجتماعي المساعد للحالة على ما أحدثته الأزمة ومدى قوة الشخص ومهاراته التكيفية.
- 2- يحدد نوع المساعدة المطلوبة في ضوء تقييمه للحالة ومهارات التكيف والموارد المتاحة للشخص.
- 3- التصرف بطريقة مباشرة من خلال قيام الأخصائي الاجتماعي بمساعدة الشخص على أن ينقب عن مشاعر الخوف والذنب والغضب ويساعده أيضا على توسيع الاختيارات عنده أو على الأقل التفكير العقلاني في الأزمة.

4- يبدأ الشخص في تحليل حالة الأزمة ليحقق التوازن وذلك من خلال مساعدة الأخصائي الاجتماعي والذي أيضا يقوم بمساعدة الفرد على وضع خطة لإنقاص التوتر وتحقيق أهداف جديدة.

6-6: الاستراتيجيات العامة للمساعدة في التدخل في الأزمات:

يمكن تحديد عدد من الإستراتيجيات العامة التي يمكن للأخصائي الاجتماعي الاستفادة منها من خلال العمل مع حالات الأزمة على النحو التالي :

1- إستراتيجية المساندة متعددة التأثير:

وتتضمن هذه الإستراتيجية جهدا مكثفا وشاملا للمساعدة وغالبا ما يصحبه برنامج نشط لتغيير السلوك كما تتحد المساندة البيئية مع مساندة الأقارب ويمكن استخدام هذه الاستراتيجية مع الكبار المعتمدين على أنفسهم وعلى المراهقين الذين يواجهون أزمة بدون الأسرة.

2- بناء الأمل والحفاظ عليه :

إن الإحباط واليأس والاكتئاب هي المكونات العامة للضغط والأزمة فأن الناس يعتمدون على المعاونين المساعدين بدرجة كبيرة للتعامل مع هذه الظروف بطريقة بناءة.

3- استراتيجية التجديد والنمو :

وتهدف هذه الاستراتيجية إلى التعرف على مواطن القوى في الناس ومساعدتهم على إدراك هذه القوى ثم مساعدتهم في تطوير خطة لإطلاق إمكانات هذه القوى.

4- استراتيجية الإرشاد العلاجي :

وتتمثل الاستراتيجية العامة المعتادة للإرشاد العلاجي في فتح ومقابلة شخصية بطريقة مباشرة مع توضيح أسباب مجئ الشخص الذي نساذه وإنشاء أهداف ومسئوليات متبادلة ثم يشرع في تنفيذ خطة للعمل للوصول إلى أهداف الشخص الذي نساذه.

ومن ناحية أخرى فان مناهج الإرشاد السلوكي تركز على مساعدة الأشخاص على تغيير بيئتهم التي تشكل سلوكهم.

وتقديم مساعدة الإرشاد في حالات الطوارئ هي جزء من وظيفة الأخصائيين الاجتماعيين من خلال مهاراتهم في التدخل في الأزمات.

6-7 : مهارات من اجل المساندة/الدعم وإدارة الأزمات:

من الصعب الحديث عن مهارات خاصة في ظروف المواساة للمكوبين لأنها تعتمد على الصفات الشخصية التي تنتقل بواسطة الأخصائيين الاجتماعيين ويمكن استخدام المهارات التالية للمواساة في حالات الأزمات وهي:-

- 1- مهارات الاتصال
- 2- مهارات إعادة الطمأنينة
- 3- مهارات التلطيف أو الاسترخاء
- 4- مجموعة المهارات المركزة
- 5- مهارات التدخل في الأزمة
- 6- تجديد أو بناء أنظمة مساندة

تعقيب:

وبعد هذا العرض لأهم الاتجاهات النظرية في دراسة الأزمات الأسرية سوف نعرض ثلاث فرضيات تشكل صلب الموقف النظري في دراسة المشكلات الاجتماعية ثم تعرض رؤية الاتجاه الوظيفي واتجاه الصراع للمشكلة الاجتماعية متبينة بعد ذلك الاتجاه الذي سوف نتناوله في دراسة المشكلة الأسرية انطلاقاً من أن المشكلة الأسرية جزءاً من المشكلة الاجتماعية.

وعن أهم الفرضيات التي تشكل صلب الموقف النظري في دراسة المشكلة الاجتماعية:

1- تفترض مواقف نظرية عديدة أن المشكلة الاجتماعية هي ضروب من الخلل والتوتر التي يشهدها المجتمع في سعيه المتوازن نحو تحقيق أهدافه والتي يجب أن يكرس النسق جهوده ويعبئ من طاقاته للتغلب عليها وفي ضوء هذا المنطلق تفهم المشكلة الاجتماعية تارة على أنها سوء تنظيم وتارة على أنها مظهر من مظاهر الخلل.

2- تفترض معظم المواقف النظرية أن المشكلات الاجتماعية لا تتأسس في ظروف موضوعية فحسب بل تتأسس أيضاً في ضوء إدراك الأفراد في مجتمع معين لها.

3- تفترض معظم المواقف النظرية في دراسة المشكلات الاجتماعية أن المشكلة الاجتماعية في ظهورها واختفائها تأخذ شكلاً منتظماً حيث تمر بثلاث مراحل:

أ - ظهور تعريف للمشكلة.

ب- ظهور بعض أشكال الاهتمام للتعامل مع المشكلة وظهور آراء بديلة ومتعارضة بشأن حلها.

ج- مرحلة الاختفاء أو التأسيس النظامي للمشكلة ويعنى الاعتراف بوجود المشكلة والتعايش معها وتسخير نظم المجتمع المختلفة لها.

وإذا ما تناولنا الأزمات الأسرية في ضوء ما سبق يمكن القول أن العلماء اختلفوا في تناولهم لمفهوم الأزمات الأسرية فوفقاً للنظرية البنائية الوظيفية نجدها تحدثت عن الصراع الأسرى على أساس أن الصراع يعنى حدوث تمزق في الأنساق الاجتماعية بصورة تهدد الأسرة وتوازنها ويرى الوظيفيون أن الصراع الاجتماعي العنيف دليل على المرض الاجتماعي بل أنه يهدد التكامل الاجتماعي للأسرة والمجتمع ولكنه وفقاً لوظيفة كل عنصر من عناصر المجتمع للحفاظ على النظام الاجتماعي فإن الصراع قد يكون وظيفياً عندما يحل بصورة مرضية.

ونلاحظ أن الوظيفية والاتجاهات المثالية بوجه عام تركز على الأنساق الاجتماعية الصغرى بينما يركز الراديكاليون على الأنساق الاجتماعية الكبرى لذلك يختلف الباحثون في مجال الأسرة ومشكلاتها في تحديد مصادر الصراع والتوتر في الأسرة ، ففريق منهم يرى أنه يكمن في نمط الأسرة النووية التي أصبحت منعزلة نسبياً عن شبكة العلاقات القرابية والاتصالات الاجتماعية بالأصدقاء واقتصرت على أفرادها الأساسيين والأدوار المتوقعة منهم بغض النظر عما يحدث في الواقع الاجتماعي من تغيرات وتحولات تتطلب تفاعلاً من جانب الأسرة.

ويرى فريق آخر من الدارسين أن مصدر المشكلات في الأسرة يكمن في الواقع الاجتماعي الخارجي الذي يقف معادياً للأسرة نتيجة للقيم المادية التي أصبح يؤمن بها أفراد هذا المجتمع بصورة تحول دون تحقيق الإشباع المادي إلى حالات من التوتر والقلق النفسي والعاطفي والاجتماعي التي تصيب المجتمع كما تصيب الأسرة.

وفي ضوء الرؤية البنائية التكاملية للأسرة ، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة الأسرة ومشكلاتها دون فهم لطبيعة التحولات والتغيرات التي يشهدها المجتمع الكبير الذي توجد فيه ، أي أن الدراسة العلمية الصحيحة لمشكلات الأسرة لا تستقيم بمعزل عن السياق الاجتماعي الاقتصادي الثقافي الديني والسياسي الذي توجد فيه بل يصل الأمر لأبعد من ذلك حيث لا يقتصر فقط على تناول الأسرة في ضوء الملامح

والخصائص الدينامكية لمجتمعها على المستوى الإقليمي وإنما يتجاوز ذلك ليتناولها في ضوء ديناميات التفاعل بينها وبين العالم الخارجي.

وقد استخدم علماء الاجتماع المحافظون مصطلحات عديدة في دراستهم للمشكلات الأسرية وتوصلوا إلى بعض التعميمات التي تتضمن أن الأسرة نظام اجتماعي عرضه للتأثر بالأزمات المجتمعية وأن الأسرة نظام نصف مغلق يتكون من أوضاع وأدوار يحددها المجتمع لذلك فإن الأزمات الأسرية تنبع من المجتمع ومن الأسرة في آن واحد.

خلاصة

عرضنا في هذا الفصل مجموعة من النظريات التي قدمت تفسيراً للمشكلات و الأزمات الأسرية ، و التي في خمس نظريات هي نظرية البنائية الوظيفية ، ونظرية التفاعلية الرمزية، ونظرية الدور وصراع الأدوار ، ونظرية الأزمة في العلاقات الأسرية، وأخيرا نظرية التدخل في الأزمات، ثم اختتمنا هذا الفصل بتعقيب عام على النظريات المعروضة.مما نستنتج ان غالبية المذاهب و النظريات قد شددت على دراسة هذا الموضوع لما له من اهمية بالغة في كل المجالات و خاصة الاجتماعية منها.